الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
جامعة تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

البعد الثوري لتجربة الحسين

خالد علي مصطفى

منذ عدة سنوات ، سيطر على تفكيري احساسٌ شعري ارتبط مباشرة بالفترة التاريخية الواقعة بين الفتح الاسلامي ومأساة الحسين . وشدّت انتباهي ثلاث لحظات كانت أكثر من غيرها مدعاة للتأمل ، وهي :

١ ـ عبور خالد بن الوليد صحراء الشام .

٢ ـ مقتل عمر بن الخطاب .

٣ ـ استشهاد الحسين بن علي معركة الطف .

ومع أن لكل لحظة من هذه اللحظات ايحاءاتها الخاصة ، إلا أنني وجدت أن هناك خيطاً واضحا يربط بينها ، ويعطيها دلالة «عامة» . فعبور خالد يمكن أن يوحي بقوة الطاقة الداخلية للأمة ، مما يدفعها الى تأكيد وجودها ـ من خلال رسالة نبيلة ـ في البناء الحضاري عن طريق الفعل الحيوي ، بينما يأتي «مقتل عمر» تعبيرا عن ردود الفعل الخارجية التي تواجه طاقة الأمة في اندفاعها . في حين يكون «استشهاد الحسين» رمزا للتناقضات الداخلية للأمة بعد التغلب على ردود الفعل الخارجية . وأكبر ظني أن التموج في هذا الخيط الذي يربط هذه اللحظات الثلاث يحقق وحدة الحركة بكل تحولاتها وتناقضاتها . ومع أن البعد التاريخي لهذه الحركة يظل قائما ، فان قوانينها العامة ذات شمولية على أي واقعٍ ضمن ظروفه الخاصة ..

ويهمني أن أحقق في الشعر ـ قدر طاقتي ـ مثل هذه الحركة في البناء الفني للقصيدة . وهذا ما حاولته في القصائد الثلاث الأولى في مجموعتي «موتى على لائحة الانتظار» . ومنها قصيدة «ملاح الصحراء» التي اتخذت من استشهاد الحسين محورا لها . ومن الجدير بالذكر أن هذا المحور يأخذ معناه من الواقع الذاتي والموضوعي الذي كُتبتْ القصيدة فيه ، بصيغةٍ أخرى : التعبير عن الواقع بالحدث التاريخي ، على شرط ألاّ يفقد التعبير التوازن الحاصل بين معطيات التاريخ الحقيقية ، وما يجب أن تتمثله هذه المعطيات من قيم الواقع المعاصر ...

ولما كانت تجربة الحسين غنيّة الإيحاءات في مجالي الاحساس والفكر على حدٍ سواء ، فانها ما زالت تفرض نفسها على الانسان الشاعر . فهي ، من حيث دلالتها ، ذات بعد ثوري استهدفت تعديل «الخط الخاطىء» الذي وقع فيه العالم الاسلامي إثر استلام الأمويين للحكم : أما من حيث أخلاقيتها ، فقد ثَبَّتَتْ قيمةً عاليةً في الممارسة الفعلية لوضع الهدف موضعَ التحقيق . ان «تجربة الحسين» ربطت بين الوعي والممارسة ، والنتيجة ؟ هو هذا الدم الفادي الذي أراد أن يُنقِذ . من هنا يظهر أن المأساة في «تجربة الحسين» هي المحصلة بين «عظمة الفعل» ونتيجته الدامية .

في قصيدة «**ملاّح الصحراء**» حاولت أن أحقق شيئاً من هذا ، دون أن أستطيع تمثّل التجربة بكل أبعادها من خلال إحساسي الخاص بها . ذلك أنَّ الاحاطة الفنية بمثل هذه

التجربة لا يمكن تحقيقه عن طريق القصيدة ، وانما يحتاج الى عمل «درامي» يتحرك فيه الواقع والشخوص بحرية لكي تستطيع التجربة أن تأخذ مداها التاريخي وانعكاساتها الواقعية .

وهذا ما لم يستطع أحد تحقيقه : لذلك تظل «تجربة الحسين» مفتوحة أمام الانسان المبدع .

وهذه قصيدة «ملاّح الصحراء» :

ـ ١ ـ

رسمتُ حديقةَ بيتي على جبهتي . أينَها الموجةُ الذهبيهْ ؟
تسيرُ مع الصولجانِ بكفِّ الأميرْ ،
تكسَّرت السُفنُ الخزفية
صدئَ بَعْثَرَتْهُ السيوفُ ، دماً للضحيّةْ .
مياهُ الفراتِ من النبعِ يحبُسها الصولجان مصبّاً أخيرْ
على جبهتي :
تلتقي النارُ فيها بكفِّ الأمير !
هلمَّ احْرقِ النهرَ فوقَ ذؤابةِ رمحك ، صُبَّ الحطورْ
على قدميكَ وشاحاً يُغَطّيهما عن مجيئي
إليكَ ، فصوتُ المآذنِ في شبحي .
أينَ نجمُ الصواري ؟
تسلّق هاويةَ الصولجانِ دليلاً لناري
ليعبرَ كفَّ الأمير بلا رايةٍ ،
ويسرجَ قنطرةً فوقَ نهر الفراتْ
تمرّ النملُ عليها الى الموجة الذهبية :
كراسي الملائكة المنذرين سيحتلّها النملُ . أينَ ثيابُ الصلاة
مسحنا السيوفَ بها عندما الفجرُ ماتْ .

☆ ☆ ☆

مياه الفراتِ على جبهتي حزمةُ من رماحْ
تحاصرُ خطوَ المسافرْ ،
وفي مقلتيهِ تلالُ الرسائل دون حناجر :
لو أنّك جَدَّلْتَها حدوةً للرياح
لأطْعَمتْهَا قُبلاً للمسافهْ :
فَهَيِّءْ حصانَك ، لمّا تزل بئرُنا ، دون دلو ، حديثَ خُرافهْ !

☆ ☆ ☆

رفوف المآسي على كتفيَّ ارتَقَتْها السيوفْ
بلا أرجلٍ .. غَرْبُها يستمدُّ الصَدَأْ
من الصفحة المتآكلة العشب فوقَ الرفوفْ .
دماءُ النخيلِ بلا شَفَةٍ تَستَحِمُّ الحروفْ
بارداتِها العابقاتِ بأصواتِ موجِ الفراتْ
رُفوفٌ على قَدَميْهِ

تناولُهُ جرعةَ الرملِ في قَدَحٍ من رفاتْ ـ
فأنتَ الأميرُ هنا ، وأنا المستَبيحُ ذمارَ المماتْ .
يَدي تَطالُكَ .. هاك الضحيّة .
دعِ الصولجانَ يفكُّ القيودَ عن النهرِ ، دَعْ
لجامَكَ عن فرسي
يُقَيِّدُ مملكة بين عينيكَ يملؤها النملُ ، موجاتُك الذهبية
رفاقي يريدون منّي النبأْ ،
وشاحَك مَزِّقْهُ ، صوتُ المآذنِ في شبحي كالصَدَأْ ،
وأنت على جبهتي قد لمستَكَ جسراً لارض المجوسْ :
دعِ الصولجانَ يفكُّ القيودَ عن النهر ، دَعْ في
ذؤابة رُمْحِك باباً
تشبُّ بأجراسهِ النارُ بَدْء الطقوسُ !

ـ ٢ ـ

أما سألَ ذُلاً علينا قُراقِرْ ؟
عيونُ الجرادِ بأمواجهِ من خناجرْ
تمر على كلِّ بابٍ ، وترمي عليهِ
قُشوراً نرى تحتَها الله من بَلَحٍ ماتَ في الشام بين الأظافرْ .
قميصي تمزَّقَ في وَجْهِه حَدأةٌ
بمنقارها لغةٌ ، من صدى هجرةِ الوَحْي ، تَشْلَخُ ثوبَ الحوافر
عن السهل . لم تُثمرِ الأرضُ صوتَ البيادرْ ،
ولم تأتِنا القافلَه
مَسكنْا الرياح على صهوةِ الزمن البخسِ نبكي
على ضفة النهرِ أيامَنا الراحلة ـ
على جبلِ الطور ماتت رؤى الوحي بين رمالٍ وشوكِ .

☆ ☆ ☆

هلمَّ اعطني السيفَ لم يبقَ لي غيرُ هذا الزمنْ
ألُمُّ الثواني على مقلتيهِ
من الشام حتى المدينة :
تَجَمْهَرَ بينهما الناس ، كلٌ يحدِّثُ عن رحلةِ السبط يبكي عليه .
هلمَّ اعطني ساعةً من ضلوعِ الدِّمَنْ
أُعَلِّقُها فوقَ صدري لِتُنْبِيء بالصاعِقةْ ـ
رسمتُ حديقةَ بيتي على جبهتي
أينَ ماءُ الفراتِ يمسِّدُ أحجارها العاشقه ؟
حصاني بلا رَسَنٍ ، أضفري يا
شقيقةُ من شعرِكِ الأقحوانيِّ حَبْلا ،
رفاقي يريدونَ منّي النَبَأْ ،
شقوقٌ بأقدامِهِمْ ملؤها الريحُ تنزف رَمْلا
وأرضُ الجزيرة نبعُ الصَدَأْ !

طريقي بلا ثَمَر ، ارْبطي يا
شقيقةُ في ثوبكِ الأرجوانيِّ زاد المسافرْ
نقدِّمه عَلَفاً للحصانْ
لترسلَ عيناهُ ناراً تضيء المكانْ .

ـ ٣ ـ

خُطانا ممالكُ فوق الرمالْ
تبيتُ بها الريحُ كاهنةً . أينَ دربُ الشمالْ ؟
سطيحُ تشبَّثَ بالبابِ يحبسُ صوتَ النبوءهْ
ويطفيءُ مصباحَهُ عن جفونِ السبايا البريئةْ ـ
أخي لم يعدْ بالكؤوس المليئة :
جِرارُ المدينةِ يشخُبُ فيها نجيعُ الخطيئة

★ ★ ★

يدي تتلمَّسُ قُبلةَ جدِّي :
هنا الموتُ يبني صلاةَ الأفاعي .
عُطاشى على شفةِ النهرِ يا فرسي العَسْجَديَهْ
رُوَيْدَك ! لا تشربي الماءَ قبلي
تلالُ الرسائلِ شلَّتْ ذراعي
ضحيَّةَ أمواجهِ الذهبيَهْ !

نهضا ..

الشيخ جعفر نقدي*

(١٣٠٣ ـ ١٣٧٠هـ)

طالت بغيبتك الأعوام والحجج ... فداك نفسي متى يأتي لنا الفرج ؟
ماذا اعتذارك للدين الحنيف إذا ... وافاك يشكو الرزايا وهو منزعج
الدهر جرد فينا من مصائبه ... عضباً غدت فيه منا تسفك المهج
رقام يشمت منا كل ذي حنق ... جمر العداوة في أحشاه مختلج
حتى متى الصبر والدنيا قد امتلأت ... جوراً وقد زاد في آفاقها الهرج
نهضاً فركن الهدى من بعد رفعته ... قد هدمته رعاع الناس والهمج
هذي أمية ظلما دك بينهم ... من طود مجدكم في كربلا ثبج
غداة طبقت الدنيا بمارقة ... في ظلمة الغي بعد الرشد قد ولجوا

* جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد تقي (١٣٠٢ ـ ١٣٧٠ هـ) من العلماء المحققين والادباء المشهورين ، ومؤلف معروف من كتبه : منن الرحمان ، مواهب المواهب ، الانوار العلوية ، الباقيات الصالحات ، زينب الكبرى . وهو والد الشاعر الاديب محمد النقدي ـ المعاصر ـ .